قضيـة المـرأة (3)

26/ 2/ 1417هـ

إِنَّ الحَمدَ للهِ... أمَّا بَعدُ:

فَمَعاشِرَ المُسلِمينَ:

تَقَدَّمَ فِي الجُمُعَةِ الماضِيَةِ شَيءٌ مِن عَلاماتِ طائِفَةٍ مِن أَعداءِ الأَمنِ وَالأَمانِ، وَهُم شَراذِمُ مِنَ الكُتَّابِ وطَّنُوا أَنفُسَهُم وسَخَّروا أَقلامَهُم فِي مُحارَبَةِ العِفَّةِ وَالحِجابِ وَالحِشمَةِ وَالحَياءِ.

وَزَعَموا بِذَلِكَ أَنَّهُم يَنشُدُونَ الرُّقِيَّ وَالتَّقَدُّمَ لِمُجتَمَعاتِهِم، والنُّهوضَ بِأُمَمِهِم، {كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً} [الكهف: 5].

استَنفَروا ما لَدَيهِم مِن ساقِطِ الفِكرِ وأَردَلِهِ فَسطَّروهُ فِي مَقالاتٍ، دَبَّجُوها بِأَبلَغِ عِباراتِ الإِعجابِ وَالزُّهُوِّ، زاعِمينَ بِذَلِكَ أَنَّهُم أَهلُ الفِكرِ الصَّائِبِ وَالنَّظَرِ الثَّاقِبِ، وقَد جَهِلُوا بَل تَجاهَلُوا أَنَّهُم يَنعِقونَ بِتَرديدِ نَظَرِيَّاتٍ باطِلَةٍ وأَفكارٍ هابِطَةٍ، قَد رَفَعَ بعضُ مُنَظِّريها يَدَ الاستِسلامِ والبَراءَةِ مِنها. وبعضُهُم قَد عَضَّ أَصابِعَ النَّدَمِ مِن جَرَّائِها، لَمَّا رَأَى تِلكَ المَبادِئَ التِي دَعا إِلَيها ودافَعَ عَنها، قَد جَلَبَت عَلى مُجتَمَعَاتِهِم الشَّقاءَ والبَلاءَ وجَعَلَتها تَتَرنَّحُ، بَل تَغرَقُ فِي أَوحالِ الفاحِشَةِ وَالرَّذِيلَةِ، ومعَ هَذا كُلِّهِ فَلا يَزالُ أُولَئِكَ الأَلكاعُ الذِينَ بُلِيَت بِهِم بِلادُ المُسلِمينَ، يَستَميتُونَ فِي الدِّفاعِ عَن تِلكَ المَبادِئِ الهَدَّامَةِ وَالأَفكارِ العَفِنَةِ.

عَجَباً مِن أُولَئِكَ، إِذا كانَ بعضُ أَصحابِ تِلكَ المَبادِئِ قَد رَفَعَ أَلوِيَةَ العِداءِ لَها بعدَ أَن ذاقُوا مَرارَتَها وتَجَرَّعُوا غُصَصَها، {فَمَا لِهَـؤُلاءِ الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً} [النساء: 78].

كِتاباتٌ مُتَلَوِّنَةٌ، تَفوحُ بِرَوائِحَ مُتَعدِّدَةٍ، فَمَقالٌ يُبكَى بِهِ على الإِسْلامِ ومَقالٌ يُبكَى بِهِ لِلإِسْلامِ، وَمَقالٌ يُحارَبُ بِهِ الإِسْلامُ، ومَقالٌ لا زِمامَ لَهُ وَلا خِطامَ.

تَناقُضٌ فِي المَبادِئِ، واضطِرابٌ فِي الفِكرِ، واختِلالٌ فِي الفَهمِ، كَما وصَفَهُمُ القائِلُ بِقَولِهِ:

أَقــولُ لَـهُ زَيــدٌ فَيسمَعُ خالِـداً ويَكتُبُهُ عَمـراً ويَقـــرَؤُهُ بِشــراً

وأَعجَبُ مِن هَذا كُلِّهِ أَنَّهُم تَشَبَّعُوا بِما لَم يُعطَوا فَأَلبَسُوا أَنفُسَهُم ثِيابَ الأَدَبِ والفِكرِ والتَّنظيرِ، ويَرونَ أَنَّهُم مِن أَحَقِّ النَّاسِ بِهَذا اللِّباسِ، وأَنَّ عَلى مُجتَمَعاتِهِم أَن تُصغِيَ لَهُم سَمعاً، وأَن لاَ تُخالِفَ لَهُم فِكراً وَلا نَظَراً.

وَلِذا تَراهُم يَشُنُّونَ حَرباً شَعواءَ لا رَحمَةَ فِيها وَلا هَوادَةَ عَلى مَن خالَفَهُم، بَل لِمَن أَلمَحَ بِسُقوطِ

فِكرِهِم ورأيِهِم، وَلِذا فَتَراهُم يَتَسابَقونَ ويتَبادَرونَ فِي الرَّدِّ عَلى مُخالِفِهِم وَوَصفِهِ بِالجَهلِ والتَّخَلُّفِ والانحِطاطِ.

عَجَباً لا يَنقَضِي مِن شَأنِ أُولَئِكَ النَّشازِ أَعداءِ الأَمنِ والأَمانِ، شاهَت وُجوهُهُم، وقَبُحَت أَقوالُهُم، أَلَيسَ لَهُم عُقولٌ يُدرِكونَ بِها أَقوالَ مَن سَبَقُوهُم فِي الدَّعوَةِ إِلى مُحارَبَةِ العِفَّةِ والحَياءِ فِي مُجتَمَعاتِ الشَّرقِ والغَربِ، وكَيفَ قامَ عُقلاءُ تِلكَ المُجتَمَعاتِ بِتَحذيرِ أُمَمِهِم مِن تِلكَ المَبادِئِ المُحارِبَةِ لِلفَضيلَةِ الدَّاعِيَةِ إِلى الرَّذيلَةِ، بَل كَيفَ قامَ بعضُ أُولَئِكَ المُنَظِّرينَ بِالتَّصريحِ جِهاراً كَلاماً ومَقالاً، بِبُطلانِ وفَسادِ دَعوَتِهِم إِلى تَحريرِ المَرأَةِ، مِمَّا زَعَموهُ قَيداً لَها وكَبتاً لِحُرِّيَتِها؟

وَعَوداً عَلى ذِي بَدءٍ، يُقالُ: إِنَّ أُولَئِكَ النَّشازَ مِنَ الكَتَبَةِ مِن أَدرَى النَّاسِ بِغَرَقِ مُجتَمَعاتِ الكُفرِ فِي مُستَنقَعاتِ الرَّذيلَةِ والفَحشاءِ، ولكِنَّ أَصحابَ تِلكَ الأَقلامِ أَصَمُّوا آذانَهُم وأَعمَوا أَبصارَهُم عَن ذَلِكَ كُلِّهِ، بَل صَوَّرُوا تِلكَ المُجتَمَعاتِ بِأَنَّها رَمزُ التَّقَدُّمِ والرُّقِيِّ وأَنَّها المِثالُ الأَعلى لِلحَضارَةِ وَالمَدَنِيَّةِ، بَل زَعَموا أَنَّهُ لا سَبيلَ لِلنُّهوضِ بِمُجتَمَعاتِهِم إِلاَّ بِالسَّيرِ خَلفَ رِكابِ أُولَئِكَ، ضارِبينَ عُرضَ الحائِطِ بِما تَئِنُّ وتَشتَكِي مِنهُ تِلكَ المُجتَمَعاتُ مِنَ الأَثقالِ التِي أَوهَنَت كاهِلَها، وَالآلامِ التِي أَقضَّت مَضجَعَها؛ بِسَبَبِ التَّمَرُّدِ عَلى الفِطرَةِ وعَسفِ النُّفوسِ عَن سُلوكِ طَريقَتِها.

ثُمَّ يُقَالُ أَيضاً لأُولَئِكَ النَّشازِ: إِن زَعَمتُم أَنَّ أَقلامَكُم مِن أَقلامِ أَهلِ الأَدبِ والكَلِمَةِ الهادِفَةِ، فَقَد لَبِستُم ثَوبَي زُورٍ، فَأُصولُ الأَدَبِ وأَهدافُهُ مِنكم بَراءٌ، أَمَّا الأَدبُ الإِسْلامِيُّ فَهُو يَبرَأُ مِن تِلكَ التَّوَجُّهاتِ المُرِيبَةِ، ويَأبَى خِباؤُهُ أَن يُظِلَّ بِفَيئِهِ أَصحابَ تِلكَ المَقالاتِ المَشبوهَةِ، وهَذا لاَ إِشكالَ فِيهِ وَلاَ مُساوَمَةَ وَلاَ عَجَبَ.

لَكِنَّ العَجَبَ كُلَّ العَجَبِ أَنَّ نُقَّادَ الأَدَبِ مِن أَهلِ الغَربِ والشَّرقِ بَل وَمِنَ المُتَقَدِّمينَ مِنهُم والمُتَأَخِّرينَ يَربؤونَ بِأَن يُصَنَّفَ أُولَئِكَ النَّشازُ بِأَنَّهُم مِن أَهلِ الأَدبِ أَو أَصحابِ الكَلِمَةِ، فَقَد قَالَ بعضُ نُقَّادِ الأَدَبِ الفَرَنسيينَ المُتَقدِّمينَ: «إِنَّنا لاَ يُمكِنُ أَن نُمَتِّعَ أَكبَرَ عَدَدٍ مِنَ النَّاسِ إِلاَّ إِذا جَعَلنا عَمَلَنا الفَنِّيَّ مُنطَوِياً عَلى هَدَفٍ أَخلاقِيٍّ».

وَقالَ غَيرُهُ: «فَالفَنَّانُ مُطالَبٌ بِأَن يَجعَلَ الفَضيلَةَ مُحَبَّبَةً، وَالرَّذيلَةَ مُنكَرَةً، وهُوَ مُطالَبٌ أَيضاً بِأَن يُناهِضَ انحِلالَ الأَخلاقِ، ولَهْوَ الطَّائِشينَ وانغِماسَهُم فِي المَلَذَّاتِ، وَذَلِكَ بِتَصويرِ الحَياةِ الأُسَرِيَّةِ الوطيدَةِ وعَرضِها عَلى أَنَّها هِيَ الأَكمَلُ وَالأَفضلُ».

وَقالَ آخَرُ: «لَو نَهَضَ الشُّعَراءُ والأُدَباءُ بِمَسؤولِيَّاتِهِم الأَدبِيَّةِ لَما وَقَعَ عالَمُنا فِيما وَقَعَ فِيهِ مِنَ الوَيلاتِ وَالمَصائِبِ، وأُكِّدَ ذَلِكَ الإِخفاقُ بِأَنَّ سَبَبَهُ فُقدانُ الشُّعورِ بِالمَسؤولِيةِ لَدَى الذِينَ يَملِكونَ فَنَّ

الكَلِمَةِ، وهُم الكُتَّابُ عامةً وَالشُّعراءُ خاصّةً» إلى غَيرِ ذَلِكَ مِمَّا جاءَ فِي مَقالاتِهِم فِي هَذا الشَّأن، التِي يَنُصُّ مُجمَلُها عَلى أَنَّ صُوَرَ الالتِزامِ الأَدَبِيِّ وَإِن تَعَدَّدَت وتَطوَّرَت فَلا بُدَّ أَن تَنطَلِقَ مِن فَضيلَةٍ يَتعلَّقُ بِها هَدَفٌ اجتِماعِيٌّ.

اللهَ نَسأَلُ أَن يَحفَظَ بِلادَنا وَبِلادَ المُسلِمينَ مِمَّن أَرادَ بِها فَساداً وإِفساداً.

* * *

الخطبة الثانية

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

إذا كانَ الأَدَبُ الإِسْلامِيُّ يَتَبَرَّأُ مِن أُولَئِكَ الكَتَبَةِ، والأَدَبُ الغَربِيُّ ينفُضُ تَوبَهُ مِنهُم ويَأبَى أَن يَنضَمُّوا تحتَ لِوائِهِ، وينظُرُ عُقَلاءُ أَصحابِهِ إلى أُولَئِكَ النَّشازِ شَزَراً؛ لِخيانَتِهِم أَمانَةَ القَلَمِ ومَسؤولِيةَ الكَلِمَةِ التِي يُخاطِبونَ بِها مُجتَمَعاتِهِم، وبعدَ هَذا كُلِّهِ يَطرَحُ سُؤالٌ نَفسَهُ عَلَينا لِزاماً، وهُو:

أَينَ يُصَنَّفُ أُولَئِكَ الكَتَبَةُ؟ وتحتَ أَيِّ أَدَبٍ يَنضَمُّونَ؟

لَعَلَّ الجَوابَ الأَقرَبَ والأَصوَبَ إن شاءَ اللهُ تَعَالَى: أَنَّهُم يُصَنَّفُونَ مِن أُدَباءِ النِّفاقِ، أُدَباءُ النِّفاقِ الذِينَ يَأتونَ هَؤلاءِ بِوَجهٍ وَأُولَئِكَ بِوَجهٍ، يُحارِبونَ الأَمنَ والأَمانَ والعِفَّةَ والحِجابَ، فَإِذا فُضِحُوا نَكَّسُوا رُؤوسَهُم ثُمَّ ما يَلبَثونَ حَتَّى يَهتَبِلُوا أَيَّ فُرصَةٍ تَسنَحُ لَهُم لِبَثِّ شُبُهاتِهِم وشَهَواتِهِم {وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [الأنفال: 30].

{وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ} [إبراهيم: 46].

بَـل خَلَطُـوا عَمَـلاً سَيئـاً بِما هُـوَ أَسوَأُ، ومعَ ذَلِكَ كُلِّهِ لَـم يَعتَرِفُـوا

بِذُنُوبِهِم بَل أَصَرُّوا عَلَيها واستَكبَروا استِكباراً.

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

إِنَّ مِن نِعَمِ اللهِ عَلى مُجتَمَعِنا هَذا حِشمَةَ نِسائِهِ وَلُزُومَهُنَّ الحِجابَ، بَل إِنَّ كَثيراً مِن نِسائِهِ لاَ يَقبَلنَ فِي المُساوَمَةِ عَلى الحِجابِ صَرفاً وَلاَ عَدلاً، وهَذا مِن فَضلِ اللهِ عَلَيهِنَّ؛ وَلِذا أَصبَحَت نِساءُ كَثيرٍ مِن هَذا البَلَدِ خاصّةً، ومَن كانَ عَلَى شاكِلَتِهِنَّ عامةً، مَضرَبَ مَثَلٍ لأُمَمِ الشَّرقِ والغَربِ فِي الحِشمَةِ والحَياءِ والطُّهرِ والعَفافِ.

اللهَ نَسأَلُ أَن يَحفَظَ مُجتَمَعَنا مِن شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ وَمَكيدَةٍ، اللَّهُمَّ عَلَيكَ بِأَعداءِ الأَمنِ والأَمانِ الذِينَ يُريدونَ لِهذا البَلَدِ وأَهلِهِ الفَسادَ والإِفسادَ.

اللَّهُمَّ افضَحهُم فِي وَضَحِ النَّهارِ ومَكِّن وُلاةَ الأُمورِ مِنهُم.

اللَّهُمَّ احفَظ بِلادَنا وَبِلادَ المُسلِمينَ مِن العابِثينَ بِالأَمنِ والأَمانِ.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفونَ وَسَلامٌ عَلى المُرْسلينَ وَالحمدُ للهِ رَبِّ العَالمينَ، وَأَقِمِ الصَّلاةَ.

* * *